مساوئ الفرقة

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر
بيروت لبنان ص ب ٦٠٨٠ / ١٣ شوران

بسم الله الرحمن الرحيم

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً
وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ
عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً
فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ
بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً

صدق الله العلي العظيم
سورة آل عمران: ١٠٣

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الظروف العصيبة التي تمر بالعالم...

والمشكلات الكبيرة التي تعيشها الأمة الإسلامية..

والمعاناة السياسية والاجتماعية التي نقاسيها بمضض...

وفوق ذلك كله الأزمات الروحية والأخلاقية التي يئن من وطأتها العالم أجمع...

والحاجة الماسة إلى نشر وبيان مفاهيم الإسلام ومبادئه الإنسانية العميقة التي تلازم الإنسان في كل شؤونه وجزئيات حياته وتتدخل مباشرة في حل جميع أزماته ومشكلاته في الحرية والأمن والسلام وفي كل جوانب الحياة..

والتعطش الشديد إلى إعادة الروح الإسلامية الأصيلة إلى الحياة، وبلورة الثقافة الدينية الحيّة، وبث الوعي الفكري والسياسي في أبناء الإسلام كي يتمكنوا من رسم خريطة المستقبل المشرق بأهداب الجفون وذرف العيون ومسلات الأنامل..

كل ذلك دفع المؤسسة لأن تقوم بإعداد مجموعة من المحاضرات التوجيهية القيمة التي ألقاها سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (دام ظله) في ظروف وأزمنة مختلفة، حول مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، وقمنا بطباعتها مساهمة منا في نشر الوعي الإسلامي، وسدّاً لبعض الفراغ العقائدي والأخلاقي لأبناء المسلمين من أجل غدٍ أفضل ومستقبل مجيد..

وذلك انطلاقاً من الوحي الإلهي القائل:

﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

الذي هو أصل عقلائي عام يرشدنا إلى وجوب التفقه في الدين وانذار الأمة، ووجوب

---

[1] سورة التوبة: **١٢٢**.

رجوع الجاهل إلى العالم في معرفة أحكامه في كل مواقفه وشؤونه..

كما هو تطبيق عملي وسلوكي للآية الكريمة:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[٢].

ان مؤلفات سماحة آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (دام ظله) تتسم بـ:

أولاً: التنوّع والشمولية لأهم أبعاد الإنسان والحياة لكونها إنعكاساً لشمولية الإسلام..

فقد أفاض قلمه المبارك الكتب والموسوعات الضخمة في شتى علوم الإسلام المختلفة، آخذاً من موسوعة الفقه التي تجاوزت ـ حتى الآن ـ المائة والخمسين مجلداً، حيث تعد إلى اليوم أكبر موسوعة علمية استدلالية فقهية مروراً بعلوم الحديث والتفسير والكلام والأصول والسياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق وسائر العلوم الحديثة الأخرى.. وانتهاءً بالكتب المتوسطة والصغيرة التي تتناول مختلف المواضيع والتي قد تتجاوز بمجموعها الـ(١٥٠٠) مؤلفاً.

ثانياً: الأصالة حيث إنها تتمحور حول القرآن والسنة وتستلهم منهما الرؤى والأفكار.

ثالثاً: المعالجة الجذرية والعملية لمشاكل الأمة الإسلامية ومشاكل العالم المعاصر.

رابعاً: التحدث بلغة علمية رصينة في كتاباته لذوي الاختصاص كـ(الأصول) و(القانون) و(البيع) وغيرها، وبلغة واضحة يفهمها الجميع في كتاباته الجماهيرية وبشواهد من مواقع الحياة.

هذا ونظراً لما نشعر به من مسؤولية كبيرة في نشر مفاهيم الإسلام الأصيلة قمنا بطبع ونشر هذه السلسلة القيمة من المحاضرات الإسلامية لسماحة المرجع (دام ظله) والتي تقارب التسعة آلاف محاضرة ألقاها سماحته في فترة زمنية قد تتجاوز الأربعة عقود من الزمن في العراق والكويت وإيران..

نرجو من المولى العلي القدير أن يوفقنا لإعداد ونشر ما يتواجد منها، وأملاً بالسعي من أجل تحصيل المفقود منها وإخراجه إلى النور، لنتمكن من إكمال سلسلة إسلامية كاملة ومختصرة تنقل إلى الأمة وجهة نظر الإسلام تجاه مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية الحيوية بأسلوب واضح وبسيط.. إنه سميع مجيب.

---

[٢] سورة الزمر: ١٧-١٨.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بيروت لبنان /ص.ب: ١٣/٦٠٨٠ شوران

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين[٣].

من أساليب الاستعمار

قال الله تعالى: ﴿**وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[٤].

لقد خرج العراق من أيدي المسلمين الذين يشكل الشيعة (٨٥%)[٥] منهم ووقع بسبب الحوادث الأخيرة التي حدثت في الشرق الأوسط بيد الغربيين وهم الآن يديرونه ويحكمون قبضتهم عليه، ولكن بواسطة أذنابهم البعثيين المتسلطين على الحكم.

ومن المعلوم أن مخطط الغربيين يبتنى دائماً على فرض الحاكم المتجبر حتى إذا لم يرضه الشعب المسلم؛ لأن المستعمرين يريدون من الحاكم في البلاد الإسلامية أن يكون لهم كالبقرة الحلوب؛ لذلك فانهم إذا ما شعروا يوماً بأن صداماً [٦] ـ كمثال ـ لم يستطيع تنفيذ ما يخططون

---

[٣] ألقيت هذه المحاضرة بتاريخ: **٢٧/ج٢/ ١٤٠٥**هـ.

[٤] سورة آل عمران: **١٠٥**.

[٥] هذه النسبة خرجت بها الاحصائية التي قام بها السيد محمد الصدر الذي كان رئيساً للوزراء في العهد الملكي وقد نشرت في حينها في الصحف العراقية.

[٦] صدام حسين التكريتي سياسي عراقي، ولد في تكريت (**١٩٣٧**م) رئيس الجمهورية **١٩٧٩**م بعد تنحيته للبكر، هاجم إيران **١٩٨٠**م فاندلعت حرب الخليج الأولى واستمرت ثمان سنوات ، احتل الكويت **١٩٩٠**م فاندلعت حرب الخليج الثانية واخرج الجيش العراقي منها، وقامت قوات الحلفاء بقيادة أمريكا بتدمير العراق ووضع العراق تحت حصار طويل الأمد، انتفض الشعب فقمع صدام انتفاضة الشعب العراقي بوحشية .

له فانهم امّا أن يقتلوه ويأتون بغيره، أو يقومون بواسطة أذنابهم الآخرين بانقلاب عسكري يقتلون من خلاله الحاكم العميل ويأتون بحكومة تغاير حكومته ولو كانت مائلة إلى الاعتدال نسبياً، كما قاموا بذلك في تركيا.

ومشاكل البلاد الإسلامية حالياً ازدادت بدرجة كبيرة، بحيث أصبحت القوانين والمقررات التي تحدد مسير الدولة داخلياً وخارجياً تأتي من الغرب، وبعض السبب في ذلك يقع على عاتق المسلمين أنفسهم؛ لأنهم لا يهتمون بالتوعية والتثقيف وتنظيم أمورهم لكي يأخذوا بزمام إدارة بلادهم بأيديهم. ومن الواضح إذا لم يهتم الإنسان لحل مشاكله ويبدي جانب العجز في إدارة أموره سيعطي للآخرين الفرصة للتدخل في شؤونه وأخذ زمام الأمر من يده.

السقوط والانحطاط

هناك صفتان إذا اتصف بهما أي مجتمع فانه سيؤول إلى السقوط والانحطاط، وهاتان الصفتان قد اجتمعتا عند بعض المسلمين أخيراً.

الأولى: النزاع

لقد استفحلت هذه الظاهرة في بعض المجتمعات الإسلامية بشكل عجيب، بحيث لا تراهم إلا في نزاع دائم فيما بينهم، مما أدى ذلك إلى اتحاد الشرق والغرب ضد المسلمين، وصاروا يتلاعبون بهم ويحركونهم ذات اليمين وذات الشمال كسحاب الربيع الذي تتقاذفه الرياح وتفرقه هنا وهناك ويعملون في بلادهم ما شاؤوا من دون أي مانع أو رادع.

بذور التفرقة

ذات يوم كنا بصحبة المرحوم الشيخ عبد الزهراء الكعبي [7] ذاهبين لزيارة مرقد الشهيد الحر الرياحي (رضوان الله عليه) مشياً على الأقدام، وذلك في الفترة التي كان زوار العتبات المقدسة يتوافدون بشكل مكثف من إيران وغيرها إلى العراق للزيارة، وفي أثناء ذلك مرت بجوارنا عربة يجرها اثنان من الخيول تحمل مجموعة من البدو، فصاح أطفال تلك المنطقة بصوت واحد (حاج عرب موش ميخورد) ومضمونها (العرب يأكلون الفئران) ثم مشينا مقدار من الطريق فمرت عربة أخرى فيها مجموعة من الزائرين الإيرانيين، فصاح أطفال تلك المنطقة وأطلقوا كلاماً أيضاً مخالف وغير صحيح لإهانة الزائرين.

أنظر.. في هذه المسافة القصيرة كم تتحسس بذور التفرقة والنزاع بين المسلمين، إنها سياسة استعمارية لإثارة النعرات فقد بذرت بهذا الشكل في بلادنا وصار بعض أبناءنا وأطفالنا وسيلة لتنفيذها بسبب عدم الوعي والثقافة.. ومن الواضح أن هذا الكلام السيئ وإن كان قد صدر من أطفال إلا أنه من شأنه أن يثير حفيظة الآخرين وبسبب عدم الوعي أيضاً، وهكذا يبعثهم للمقابلة بالمثل وتستمر هذه التصرفات السيئة وتنعكس في جوانب أخرى من الحياة حتى تتحول الأمة الواحدة التي رفع الإسلام الحواجز النفسية والأرضية منها إلى أمم مشتتة متفرقة البعض يتهجم على البعض الآخر ويسخر منه وقد قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[8] ومعلوم أن هذا السلوك يؤدي إلى

---

[7] الخطيب البارع الشهيد الشيخ عبد الزهراء الكعبي ، ولد في مدينة كربلاء المقدسة سنة **١٣٣٩**هـ يوم ولادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء وبعد جهاد طويل سقوه السم في يوم شهادة فاطمة الزهراء وتوفي مسموماً شهيدا عام **١٣٩٣**هـ اشتهر بأسلوب خطابي مميز.

[8] سورة الحجرات: **١١**.

ضعف الأمة وانهيارها، ويوقعها لقمة سائغة في فم الاستعمار الذي ما فتئ يخطط لتنفيذ هذه الأساليب والخطط.

وقد قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً**﴾[٩].

الثانية: العنف والتهور

الناس بطبيعتهم لا يميلون إلى الأفراد العنيفين وسيئي الأخلاق ولا يجلّونهم بملء اختيارهم، وإذا حدث وأن استطاع بعض أصحاب القدرة والعنف استغفال وخداع مجموعة من الناس لفترة. فان أوراقهم سرعان ما تنكشف وينقلب الأمر عليهم وينفضّ الناس من حولهم إن لم ينقلبوا عليهم.

ونحن نرى الإسلام الذي بقي لحد الآن، وسيبقى إلى أبد الدهر إنما هو بسبب مجموعة من الخصائص والسمات الفريدة، منها دعوته السليمة حيث استطاع النبي الأكرم □ والأئمة الأطهار □ أن يدخلوا الإسلام في قلوب الناس عن طريق الكلام اللين، ومكارم الأخلاق التي يدعو إليها الإسلام حيث يقول تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾[١٠].

وقد جاء في بعض التفاسير عن لين وحسن خلق الرسول الأعظم □:

«معناه ان لينك لهم مما يوجب دخولهم في الدين لأنك تأتيهم مع سجاحة أخلاقك وكرم سجيتك بالحجج والبراهين ﴿**وَلَوْ كُنْتَ**﴾ يا محمد ﴿**فَظّاً**﴾ أي جافياً سيئ الخلق ﴿**غَلِيظَ الْقَلْبِ**﴾ أي قاسي الفؤاد وغير ذي رحمة ولا رأفة ﴿**لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ أي لتفرق أصحابك عنك ونفروا منك...»[١١].

ويقول الله تعالى في آية أخرى: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[١٢].

---

[٩] سورة آل عمران: **١٠٣**.

[١٠] سورة آل عمران: **١٥٩**.

[١١] تفسير مجمع البيان: المجلد الأول ص**٥٢٧** تفسير سورة آل عمران.

[١٢] سورة الشعراء: **٢١٥**.

فيأمر النبي □ بأن يلين جانبه ويتواضع لهم ويحسن معاملتهم، لأن تواضع القادة وحسن معاملتهم من شأنها أن تزيد محبة الناس وتشدّهم إليهم أكثر.

من سيرة الرسول الأعظم □

عن الإمام أمير المؤمنين □ أنه قال: «ان يهودياً كان له على رسول الله □ دنانير فتقاضاه. فقال له: يا يهودي ما عندي ما أعطيك.

فقال: فاني لا أفارقك يا محمد حتى تقضيني.

فقال: إذا أجلس معك، فجلس معه حتى صلى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء والآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله □ يتهدّدونه ويتواعدونه، فنظر رسول الله□ إليهم فقال: ما الذي تصنعون به؟

فقالوا: يا رسول الله يهودي يحبسك؟!

فقال □: لم يبعثني ربي عزوجل بأن أظلم معاهداً ولا غيره، فلما علا النهار قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وشطر مالي في سبيل الله، أما والله ما فعلت بك الذي فعلت إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة، فإني قرأت نعتك في التوراة: محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره بطيبة وليس بفظّ ولا غليظ ولا سخاب ولا متزيّن بالفحش..»[١٣].

هذا الحديث يعكس لمحة موجزة عن أخلاق وسيرة النبي الأعظم □ في اتباعه سياسة اللاعنف وعدم التهور في مواقفه الظاهرية والباطنية، وهذا اللين وانشراح الصدر هو أحد العوامل التي جذبت الناس إلى الإسلام من أهل الكتاب وغيرهم، وجعلت المسلمين أيضاً يتمسكون بالدين الإسلامي أكثر بإيمان عال ويعملون لنشره بين الناس بإخلاص وتفان، على العكس من الذين يتبعون مبدأ العنف والتهور فعقائدهم تحجمت بل واندثرت وإن كان البعض يستبطن العنف ويظهر العطف واللين في بعض الأحيان فإنه سرعان ما ينكشف

[١٣] بحار الأنوار: ج١٦ ص٢١٦ ب٩ ح٥.

وينتهي به المطاف ولا تبقى له نائرة فقد قال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب □: «ما أضمر أحد شيئاً إلا وظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه»[١٤] لذا نحن نرى الإسلام باقياً بقاء الدهر؛ لأن مبادئه تعتمد على أساس اللين وسعة الصدر واللاعنف وقادته الكرام النبي وأهل بيته (عليهم الصلاة والسلام) جسّدوا هذه المبادئ السليمة بصدق وإخلاص الأمر الذي زاد من قوته وانتشاره في الأرجاء وخلوده.

من سيرة أمير المؤمنين □

ابن الكوّاء هذا المنافق الخارجي، كان مشاكساً لأمير المؤمنين□ وهو في أوج حكومته الواسعة التي كانت ذلك اليوم أوسع حكومة على وجه الأرض مساحة وعدداً، إضافة إلى أنه □ مفروض الطاعة من الله ورسوله، فقد كان ابن الكوّاء يؤذي الإمام بعناده واعتراضاته المتكررة في السوق والمسجد وبأسلوب خال من اللياقة، وفي رواية عن كتاب البحار للمجلسي □: «كان علي □ في صلاة الصبح فقال ابن الكوّاء من خلفه: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[١٥] فأنصت علي □ تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية ثم عاد في قراءته، ثم أعاد ابن الكوّاء الآية فأنصت علي □ أيضاً، ثم قرأ فأعاد ابن الكوّاء فأنصت علي □ ثم قال □: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ**﴾[١٦] ثم أتم السورة وركع»[١٧].

أنظر.. مع أن الإمام □ كان الرئيس الأعلى للدولة، ويتمكن أن يتخذ موقفاً صارماً ضد ابن الكوّاء ـ الذي كان مواطناً عادياً ـ ولنفاقه ومشاكسته المتكررة للإمام □ أصبح منبوذاً في المجتمع، ومع استحقاقه للعقوبة الرادعة إلا أن الإمام □ لم يبد أي موقف صارم أو شديد

---

[١٤] نهج البلاغة، قصار الحكم: **٢٦**.

[١٥] سورة الزمر: **٦٥**.

[١٦] سورة الروم: **٦٠**.

[١٧] بحار الأنوار: ج**٤١** ص**٤٨** ب**١٠٤** ح**١**.

تجاهه. وهذا جانب بسيط من معاملة الإمام أمير المؤمنين□ والحاكم الأعلى للبلاد الإسلامية آنذاك، فقد تمتع □ بالحكمة والصبر وسعة الصدر ولين الجانب مع أعداءه من المشركين والمنافقين.

واستطاع (صلوات الله وسلامه عليه) بذلك أن يديم هذه العقيدة الإسلامية ويرسخها في القلوب والضمائر التي أثبت ركائزها رسول الله □ وخاتم الأنبياء □ بفعل أخلاقه وسيرته الكريمة وتعامله مع الناس باللين واللاعنف.

أسلوب القرآن

قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاّ الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾[١٨].

نزلت هذه الآيات على الرسول الأعظم □ حول مسجد ضرار الذي بناه المنافقون في مقابل مسجد الرسول ومسجد قباء، ومع ذلك فإن أسلوب القرآن الحكيم لم يتصف بالعنف فقد جاء الأمر هكذا بقوله تعالى: ﴿**لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ**﴾[١٩] وفي سبب نزول هذه الآيات وتفسيرها قال الطبرسي □: «قال المفسرون ان بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء وبعثوا إلى رسول الله □ ان يأتيهم فآتاهم وصلى فيه فحسدهم جماعة من المنافقين من بني غنم بن عوف فقالوا نبني مسجداً فنصلّي فيه ولا نحضر جماعة محمّد وكانوا اثني عشر رجلاً، وقيل خمسة عشر رجلاً، منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ونبتل بن الحرث، فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء، فلما فرغوا منه أتوا رسول الله □ وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وإنّا نحب أن تأتينا فتصلّي فيه لنا، وتدعو بالبركة.

---

[١٨] سورة التوبة: **١٠٧**.

[١٩] سورة التوبة: **١٠٨**.

فقال □: «إني على جناح سفر ولو قدمنا أتيناكم إن شاء الله فصلينا لكم فيه، فلما انصرف رسول الله من تبوك نزلت عليه الآية في شأن المسجد». وفي معنى الآية قال الطبرسي: «ثم ذكر الله سبحانه جماعة أخرى من المنافقين بنوا مسجداً للتفريق بين المسلمين وطلب الغوائل للمؤمنين فقال . تعالى . : ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً**﴾ والمسجد موضع السجود في الأصل وصار بالعرف اسماً لبقعة مخصوصة بنيت للصلاة فالاسم عرفي فيه معنى اللغة ﴿**ضِرَاراً**﴾ أي مضارة يعني للضرر باهل مسجد قباء أو مسجد رسول الله □ ليقلّ الجمع فيه ﴿**وَكُفْراً**﴾ أي ولإقامة الكفر فيه..﴿**وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ أي لاختلاف الكلمة وإبطال الإلفة وتفريق الناس عن رسول الله□ ﴿**وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ**﴾ أي أرصدوا ذلك المسجد واتخذوه وأعدّوه لأبي عامر الراهب. وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل. وكان من قصته انه كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح، فلما قدم النبي □ المدينة حسده وحزب عليه الأحزاب ثم هرب بعد فتح مكة إلى الطائف فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام وخرج إلى الروم وتنصر...﴿**وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى**﴾ معناه أن هؤلاء يحلفون كاذبين ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا الفعلة الحسنى من التوسعة على أهل الضعف والعلة من المسلمين فأطلع الله نبيه على فساد طويتهم وخبث سريرتهم فقال: ﴿**وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ وكفى لمن يشهد الله سبحانه بكذبه خزياً[٢٠].

والخلاصة: إن أسلوب القرآن مع المنافقين والمتآمرين لم يكن بدرجة من العنف، وإنما هو أسلوب فضح وخزي للمتآمرين، وأما الرسول الأعظم □ فلم يقم بالانتقام من القائمين على بناء المسجد والمنافقين ولم يرسل إلى جلبهم لمحاكمتهم أو عقابهم، وحتّى أبو عامر الراهب الذي تقدمت قصته وهو رئيس المنافقين والمتآمر مع الروم لم يوجّه له الرسول الأعظم □ حكماً أو من يقتصّ منه وإنما اكتفى الرسول □ بتهديم المسجد وفضح من بناه عن طريق الآيات القرآنية وامتناعه من الصلاة فيه.

والذي أثر في هؤلاء المنافقين أكثر أن النبي □ عاملهم بلين وعطف دون أي عنف يذكر.

---

[٢٠] تفسير مجمع البيان: المجلد **٣** ص**٧٠** تفسير سورة التوبة.

واقعنا المعاصر

في منطق القرآن الكريم جميع المسلمين بلغاتهم وقومياتهم وألوانهم المختلفة أمة واحدة حيث يقول تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾[٢١].

وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**﴾[٢٢].

كما أن البلاد الإسلامية كلها بلد واحد، وقانون واحد، وحكومة واحدة في نظر الإسلام، وهذه الوحدة كانت متجسدة في حياة المسلمين لقرون عديدة، حتى إذا دخل الاستعمار بلادنا وأثار النعرات والتفريقات بين المسلمين فساقهم إلى التشتت لكي يعيش عليه.

حرمة التفرقة

إن أي تفريق بين المسلمين يعتبر من أشد المحرمات في الإسلام لأنه معاونة على الإثم والعدوان الذي يهدفه الاستعمار هذا أولاً. وثانياً: انه تشتيت للأمة الواحدة وتسهيل لسيطرة الكفار على بلاد الإسلام، سواءً كان التفريق بالأراضي ووضع الحدود الجغرافية بين بلاد المسلمين أو بالجنسيات المتعددة أو ما أشبه ذلك.

إننا نجد الآن العراقي خارج حدود العراق في البلاد الإسلامية الأخرى يعتبر أجنبياً، ويعامل معاملة الأجانب، وكذلك المسلمون الآخرون يعتبرون داخل العراق من الأجانب، وهذا الأمر لا يختص بالعراقي بل ينطبق على المصري والإيراني والأفغاني وسائر المسلمين، وهذا عمل لا يرتضيه الإسلام ولا ينطبق مع مبادئه الوحدوية.

فهذه الحدود الأرضية بين المسلمين وضعها الاستعمار من أجل تشتيتهم، والقضاء على رابطة الأخوة والأمة الواحدة التي تجمعهم، لتسهل السيطرة عليهم ويكونوا مغنماً لبلد الكفر.

والأنكى من ذلك أن المستعمر الذي وضع هذه الحدود لم يكتف بترسيمها وتفريق جسد

---

[٢١] سورة الأنبياء: **٩٢**.

[٢٢] سورة المؤمنون: **٥٢**.

الأمة الواحدة، بل عمد إلى ترك مناطق حدودية محايدة ومساحة يكتنفها الغموض بين أغلب البلاد الإسلامية، حتى تكون هذه المناطق مادة للنزاع والخلاف وبؤرة للتوتر بين البلدان الإسلامية دائماً ليتمكن ساسة الغرب من إثارتها في أي وقت شاءوا، بل أحياناً نفس الدول الإسلامية متى ما أحسّت بشيء من القوة فانها سرعان ما تترجم هذه القوة إلى نزاع حدودي وحرب طاحنة بينها وبين جارتها المسلمة، وتتوزع بقية الدول الإسلامية بين مناصر لهذا الطرف وذاك، ويكون الهم الأكبر لحكام أغلب الدول الإسلامية هو بناء القوة العسكرية على حساب حتى رغيف الخبز لا لمواجهة الأعداء الحقيقيين للأمة، وإنما لانتزاع بعض الأشبار من أرض البلد المسلم الجار ودون أي حساب للخسائر الحقيقية التي يتكبّدها الطرفان، والآثار القريبة والبعيدة المترتبة على ذلك من امتصاص كل الطاقات المادية وتحطيم القيم المعنوية للمسلمين، فضلاً عن إيقاع المزيد من الخلاف والتشتت بينهم.

واجب المجتمع

وبسبب هذه المظاهر نحن مدعوون جميعاً لأن نسعى بكل جهودنا وطاقاتنا، بألسنتنا وأقلامنا للقضاء على كل أسباب الخلاف ومظاهر العنف والفحش والتفرقة، والهمز واللمز في المجتمعات الإسلامية، وعلينا أن نهتم بأنفسنا فنهذبها، ونتمسك باللين والرفق ليكون هذا منطلقاً لما نأمل أن نحققه من التغيير في العالم الإسلامي، وهذا الطريق وإن كانت تحفّه المشاكل والصعاب والموانع الطبيعية والمصطنعة، إلا أنه الطريق الناجح للنجاة وبلوغ النصر والقضاء على أسباب التأخر والانحطاط الذي أصاب المسلمين وإلا سنبقى نئن من وطأة ذلك (والعياذ بالله).

«اللهم صل على محمد وآله، وحلني بحلية الصالحين، وألبسني زينة المتقين في بسط العدل، وكظم الغيظ، واطفاء النائرة وضم أهل الفرقة، وإصلاح ذات البين، وافشاء العارفة، وستر العائبة، ولين العريكة، وخفض الجناح، وحسن السيرة... وأكمل ذلك لي بدوام الطاعة ولزوم الجماعة...»[٢٣].

---

[٢٣] الصحيفة السجادية: ص١٠٤ من دعائه □ في مكارم الأخلاق.

من هدي القرآن الحكيم

في ذم التفرقة

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾[٢٤].

وقال سبحانه: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[٢٥].

وقال عزوجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[٢٦].

وقال جل وعلا: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢٧].

جزاء المنافقين

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾[٢٨].

وقال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمْ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[٢٩].

وقال عزوجل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾[٣٠].

اللين من محاسن الأخلاق

---

[٢٤] سورة آل عمران: ١٠٣.

[٢٥] سورة الشورى: ١٣.

[٢٦] سورة الأنعام: ١٥٩.

[٢٧] سورة آل عمران: ١٠٥.

[٢٨] سورة النساء: ١٤٠.

[٢٩] سورة التوبة: ٦٨.

[٣٠] سورة النساء: ١٤٥.

قال تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾[٣١].

وقال سبحانه: ﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾[٣٢].

وقال عزوجل: ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[٣٣].

من هدي السنة المطهرة

من كلمات لأمير المؤمنين □ في اللين والرفق:

١: «ألن كنفك فإن من يلين كنفه يستدم من قومه المحبة»[٣٤].

٢: «من لانت كلمته وجبت محبته»[٣٥].

٣: «أكبر البر الرّفق»[٣٦].

٤: «من تلن حاشيته يستدم من قومه المحبّة»[٣٧].

٥: «من لم يلن لمن دونه لم ينل حاجته»[٣٨].

٦: «الرفق لقاح الصلاح وعنوان النجاح»[٣٩].

ومن كلماته □ في ذم التفرقة والعدوان:

١: «من زرع العدوان حصد الخسران»[٤٠].

---

[٣١] سورة آل عمران: **١٥٩**.

[٣٢] سورة طه: **٤٤**.

[٣٣] سورة المائدة: **٥٤**.

[٣٤] غرر الحكم ودرر الكلم: ص**٢٥٠** ح**٥٢٠٥** الفصل الثاني موجبات عزة النفس.

[٣٥] غرر الحكم ودرر الكلم: ص**٢٥٠** ح**٥٢٠٧** الفصل الثاني موجبات عزة النفس.

[٣٦] غرر الحكم ودرر الكلم: ص**٢٥٠** ح**٥٢١٤** الفصل الثاني موجبات عزة النفس.

[٣٧] غرر الحكم ودرر الكلم: ص**٢٥٠** ح**٥٢٠٩** الفصل الثاني موجبات عزة النفس.

[٣٨] غرر الحكم ودرر الكلم: ص**٢٥٠** ح**٥٢١٠** الفصل الثاني موجبات عزة النفس.

[٣٩] غرر الحكم ودرر الكلم: ص**٢٥٠** ح**٥٢١٢** الفصل الثاني موجبات عزة النفس.

٢: «المؤمن منزه عن الزيغ والشقاق»[٤١].

٣: «المخاصمة تبدي سفه الرجل ولا تزيد في حقه»[٤٢].

٤: «شر الناس من يبتغي الغوائل للناس»[٤٣].

٥: «من بالغ في الخصام أثم ومن قصر عنه خصم»[٤٤].

٦: «رأس الجهل معاداة الناس»[٤٥].

اللين من صفات المؤمن

قال رسول الله □: «ألا أنبئكم لم سمي المؤمن مؤمناً، لإيمانه الناس على أنفسهم وأموالهم، ألا أنبئكم من المسلم، من سلم الناس من يده ولسانه، ألا أنبئكم بالمهاجر، من هجر السيئات، وما حرّم الله عليه، ومن دفع مؤمناً دفعة ليذلّه بها، أو لطمه لطمة، أو أتى إليه أمراً يكرهه لعنته الملائكة حتى يرضيه من حقه، ويتوب ويستغفر، فإياكم والعجلة إلى أحد فلعلّه مؤمن وأنتم لا تعلمون، وعليكم بالأناة واللين، والتسرع من سلاح الشياطين وما من شيء أحب إلى الله من الأناة واللين»[٤٦].

---

[٤٠] غرر الحكم ودرر الكلم: ص**٤٦١** ح**١٠٥٧٢** الفصل الخامس في الخصومة.

[٤١] غرر الحكم ودرر الكلم: ص**٤٦١** ح**١٠٥٦٤** الفصل الخامس في الخصومة.

[٤٢] غرر الحكم ودرر الكلم: ص**٤٦١** ح**١٠٥٦٥** الفصل الخامس في الخصومة.

[٤٣] غرر الحكم ودرر الكلم: ص**٤٦١** ح**١٠٥٧١** الفصل الخامس في الخصومة.

[٤٤] غرر الحكم ودرر الكلم: ص**٤٦١** ح**١٠٥٧٤** الفصل الخامس في الخصومة.

[٤٥] غرر الحكم ودرر الكلم: ص**٤٦١** ح**١٠٥٧٠** الفصل الخامس في الخصومة.

[٤٦] علل الشرائع: ص**٥٢٣** ب**٣٠٠** ح**٢**.

من مناهي النبي □

قال رسول الله □: «ألا ومن لطم خد مسلم أو وجهه بدد الله عظامه يوم القيامة، وحشر مغلولاً حتى يدخل جهنم إلا أن يتوب»[٤٧].

قال رسول الله □: «من آذى مؤمناً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عزوجل، ومن آذى الله فهو ملعون في التوراة والانجيل والزبور والفرقان، وفي خبر آخر: فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[٤٨].

الفهرس

كلمة الناشر ٣
من أساليب الاستعمار ٦
السقوط والانحطاط ٧
الأولى: النزاع ٧
بذور التفرقة ٨
الثانية: العنف والتهور ٩
من سيرة الرسول الأعظم □ ١٠
من سيرة أمير المؤمنين □ ١١
أسلوب القرآن ١٢
واقعنا المعاصر ١٤
حرمة التفرقة ١٤
واجب المجتمع ١٥

[٤٧] الأمالي للشيخ الصدوق: ص**٤٣٠** المجلس **٦٦** ح**١**.
[٤٨] بحار الأنوار: ج**٧٢** ص**١٥٠** ب**٥٧** ح**١٣**.

من هدي القرآن الحكيم..... ١٦
من هدي السنة المطهرة ١٧
الفهرس ١٩

رجوع إلى القائمة